COPYRIGHT© INTERNATIONAL ISLAMIC UNIVERSITY MALAYSIA

أثر مقاصد الشريعة في آراء الإمام ابن عاشور وترجيحاته
الأحوال الشخصية أنموذجا

إعداد

سَركَوْتْ سَروْكْ يعقوب

بحث متطلب مقدم لنيل درجة الدكتوراه في الفقه والأصول

كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية
الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا

مايو ٢٠١٦م

ملخص البحث

تناولت هذه الدراسة مقاصد الشريعة وأثرها في آراء الإمام محمد الطاهر ابن عاشور وترجيحاته مبتدأة بالنقاط المهمة والضرورية عن حياة الإمام وجهوده، وعارضةً بعض الانتقادات التي وجّهت إليه. ثم ركّزت على المقاصد عند الإمام ابن عاشور، ولاسيما المسائل التي تجاوزتها الدراساتُ السابقة، لِما لها من الأثر العظيم في فهم نظريته ومراده، ومنها ما جاء في عبارات الإمام نفسِه، ثم انتقل إلى المقاصد بعد ابن عاشور، وما أثير حولها من آراء، وخاصة عند الذين تناولوا المقاصد عند ابن عاشور من حيث جدواها وأثرها. واعتمد الباحث في دراسته المنهج التحليلي في تحديد فكرة المقاصد عند ابن عاشور وغيره، والمنهج الاستقرائي للكشف عن التطبيق المقاصدي من عدمه عند الإمام. وخرج البحث بنتائج، أهمها: أن ابن عاشور لم يرد للمقاصد أن تكون بديلا عن علم الأصول، وأنه بعد استقراء آرائه حول الأحوال الشخصية التي كانت أنموذجا للدراسة: تبيّن أن الإمام لم يعتمد على المقاصد في آرائه وترجيحاته؛ بل لم يخرج عن مذهبه المالكي، مما يدل على أنه لم يرد للمقاصد أن تحتل هذه المكانة التي يُدعى لها في أكثر الدراسات المعاصرة.

ABSTRACT

This research examines the concept of *maqāsid al-sharīʿah* (higher intents and objectives of *Sharīʿah*) and its impacts on the study of Islamic jurisprudence in the light of the viewpoint of al-Imām Moḥammad al-Ṭāhir Ibn ʿĀshūr. It begins with discussing various important aspects of his life and his intellectual efforts and thus analyzes some allegations directed against him. This research finally embarks on a discussion of *maqāsid* in the light of Ibn ʿĀshūr's ideas. In this regard, it analyzes the debates on this subject that had gone before Ibn ʿĀshūr and their influences on him, those during his time and the continuous discussion on the subject after him. One important finding of this study is that, Ibn ʿĀshūr never wanted *maqāsid* to be an alternative the studies of principles Islamic jurisprudence. It also emerges that, in his opinions and juristic preferences, Imām Ibn ʿĀshūr did not contradict or discredit the views of Imām Mālik. Nor did he exclude himself from the *Mālikī* school of law. Importantly, the findings of this research suggest that Imām Ibn ʿĀshūr did not intend to give the discourse of *maqāsid* the preeminent status that it enjoys in contemporary studies.

APPROVAL PAGE

This dissertation of Sarkawt Sarok Yaqob has been approved by the following:

_____

Hassan Ben Ibrahim Hendaoui
Supervisor

_____

Bouhedda Ghalia
Internal Examiner

_____

Naamane Djeghim
External Examiner

_____

Abdur-Rahman Ibrahim Zaid Alkilani
External Examiner

_____

Ismaiel Hassanein Ahmad
Chairman

DECLARATION

I hereby declare that this dissertation is the result of my own investigations, except where otherwise stated. I also declare that is has not been previously or concurrently submitted as a whole for any other degrees at IIUM or other institutions.

Sarkawt Sarok Yaqob

Signature: ……..……..…… Date: …...…….

الجامعة الإسلامية العالمية–ماليزيا

إقرار بحقوق الطبع وإثبات مشروعية استخدام الأبحاث غير المنشورة

حقوق الطبع ٢٠١٦م محفوظة لـ: سركوت سروك يعقوب

أثر مقاصد الشريعة في آراء الإمام ابن عاشور وترجيحاته
الأحوال الشخصة أنموذجا

لا يجوز إعادة إنتاج أو استخدام هذا البحث غير المنشور في أي شكل وبأي صورة (آلية كانت أو إلكترونية أو غيرها) بما في ذلك الاستنساخ أو التسجيل، من دون إذن مكتوب من الباحث إلا في الحالات الآتية:

١ - يمكن للآخرين اقتباس أية مادة من هذا البحث غير المنشور في كتابتهم بشرط الاعتراف بفضل صاحب النص المقتبس وتوثيق النص بصورة مناسبة.

٢ - يكون للجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا ومكتبتها حق الاستنساخ (بشكل الطبع أو بصورة آلية) لأغراض مؤسساتية وتعليمية، ولكن ليس لأغراض البيع العام.

٣ - يكون لمكتبة الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا حق استخراج نسخ من هذا البحث غير المنشور إذا طلبتها مكتبات الجامعات ومراكز البحوث الأخرى.

٤ - سيزود الباحث مكتبة الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا بعنوانه مع إعلامها عند تغير العنوان.

٥ - سيتم الاتصال بالباحث لغرض الحصول على موافقته على استنساخ هذا البحث غير المنشور للأفراد من خلال عنوانه البريدي أو الإلكتروني المتوفر في المكتبة. وإذا لم يجب الباحث خلال عشرة أسابيع من تاريخ الرسالة الموجهة إليه، ستقوم مكتبة الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا باستخدام حقها في تزويد المطالبين به.

أكد هذا الإقرار: سركوت سروك يعقوب

التوقيع:..... التاريخ: .....

إلى رمز العطاء في حياتي ... والدتي العزيزة

إلى من ساندني في كل آن ... والدي العزيز

إلى شيوخي وأساتذتي الذين تعلمت وتربيت على أيديهم وخاصة الشيخ عبد الرحمن الشنشولي رحمه الله تعالى...

أهدي هذا الجهد المتواضع

الشكر والتقدير

الشكر والحمد لله عزّ جلاله، خالق الإنسان في أحسن تقويم ومكرمه أحسن تكريم، اللهم لك الحمد والشكر، شكراً يليق بعظيم سلطانك وجزيل أفضالك.

وأتقدم بشكري الجزيل للدكتور الفاضل **حسن بن إبراهيم الهنداوي**، الذي بذل الجهد الكبير، وأمضى الكثير من وقته الثمين من أجل تقديم ملاحظاته القيمة التي نوّر بها طريق الدراسة، وعدم تخليه عني مساندةً ومؤازرة ومواساة؛ فجزاه الله خير الجزاء.

وأشكر الأستاذ الدكتور الفاضل **محمد الطاهر الميساوي**، الذي قبل الإشراف على التعديلات بعد المناقشة. كما أتقدم بالشكر الجزيل للسيدة الدكتورة **بوهيدا غالي** الممتحنة الداخلية لتكلفها عناء قراءة البحث لإغنائه بملاحظاتها وإرشاداتها. وجزيل الشكر للمتحنين الخارجيين: السيد الدكتور **نعمان جغيم** على قراءته الدقيقة للبحث وإغنائه بملاحظاته، وإرشادي إلى عيوبه ونواقصه. والسيد الأستاذ الدكتور **عبد الرحمن الكيلاني** الذي لم يقصر في إبداء ملاحظاته بما يراه مناسبا للبحث، فجزى الله الجميع خير الجزاء.

وبالغ شكري وتقديري لجهود الأستاذ الدكتور الشيخ **منجد بهجت مصطفى**، والأستاذ الدكتور **عارف علي عارف** الذَين لا تفي بشكرهما الكلمات ههنا، لدعمهما ومتابعتهما الدؤوبين لكل الطلاب وفي كافة المراحل العلمية.

كما أتقدم بجزيل الشكر للسيد الفاضل الأستاذ الدكتور **إبراهيم زين** ذي الأخلاق العالية، لتشجيعه لي في اختيار موضوع الرسالة وإبداء ملاحظاته القيمة، وحكمته في إدارة الأزمات وحلّ المشاكل ومساعدة الطلاب والباحثين، فجزاه الله خير الجزاء.

كما أتقدم بجزيل الشكر للأخوة الذين كانوا يقومون بإجراءات الجامعة بدلا عني وخاصة الأخ **رضوان حازم**، والأخ **صابر الدهوكي** والأخ **حبيب الله**، والأخ الدكتور **زوراب علي** والأخ الأستاذ **الشيخ أمين حجي** وغيرهم رضوان الله عليهم أجمعين. وأسأل الله العلي القدير أن يجعل هذا الجهد خالصاً لوجهه الكريم، وله الحمد والشكر أولاً وآخراً.

فهرس محتويات البحث

ملخص البحث ..... ب

ملخص البحث باللغة الانجليزية ..... ج

صفحة القبول ..... د

صفحة التصريح ..... ه

صفحة الإقرار بحقوق الطبع ..... و

الإهداء ..... ز

الشكر والتقدير ..... ح

الفصل الأول: المدخل إلى الدراسة ١

مقدمة ١

مشكلة البحث ٣

أسئلة البحث ٤

أهداف البحث ٤

أهمية البحث ٤

حدود البحث ٥

منهج البحث ٥

الدراسات السابقة ٦

الفصل الثاني: الإمام ابن عاشور: حياته وجهوده، وبعض الانتقادات الموجهة إليه ٢٢

المبحث الأول: الإمام ابن عاشور: اسمه ونسبه، حياته، جهوده، وظائفه ٢٣

المطلب الأول: اسمه ونسبه وحياته ٢٣

أولا: اسمه ٢٣
ثانيا: نسبه وولادته.....٢٤
ثالثا: نشأته.....٢٤
رابعا: طلبه للعلم والدروس التي تلقاها والدرجات العلمية التي
حصل عليها ٢٦
المطلب الثاني: جهود الإمام العلمية.....٣٢
أولا: مؤلفاته في العلوم الشرعية.....٣٣
ثانيا: مؤلفاته في اللغة وعلومها ٣٨
المطلب الثالث: الوظائف والمناصب التي تقلدها الإمام.....٤٢
المبحث الثاني: بعض الانتقادات الموجهة إلى الإمام في الماضي والحاضر ٤٧
المطلب الأول: ما واجهه الإمام من انتقاد في حياته ٤٨
المطلب الثاني: ما وجّه للإمام من انتقاد بعد وفاته.....٥١

الفصل الثالث: مقاصد الشريعة عند الإمام ابن عاشور.....٥٦
المبحث الأول: مسألة قطعية الأصول ٥٨
المطلب الأول: تعريف القطع والظن لغة واصطلاحا.....٦٠
أولا: الظن لغة واصطلاحا ٦٠
ثانيا: القطع.....٦٤
المطلب الثاني: أصل تقسيم الأمور إلى القطع والظن والدليل الشرعي
والعقلي على ذلك التقسيم ٦٥
المطلب الثالث: المسائل والمباحث التي تناولتها مسألة القطعية والظنية
عند علماء الأصول ٦٦
أولا: مسألة الفرض والواجب ٦٧
ثانيا: مسألة الفروع والأصول: ٦٧
ثالثا: مسألة دلالة الألفاظ من حيث قوة الدلالة ٦٨

رابعا: مسألة ثبوت الدليل الشرعي.....٦٨
خامسا: مسالة دلالة الإجماع.....٦٨
سادسا: دلالة العام والخاص.....٦٨
سابعا: مسألة كون أصول الفقه قطعية ٦٨
المطلب الرابع: حكم اتباع الظن والقطع في المسائل الشرعية ٧٠
المطلب الخامس: قطعية الأصول والمقاصد بين ابن عاشور ومن قبله من العلماء ٧٦
المبحث الثاني: عرض بعض دعائم نظرية المقاصد لابن عاشور.....٧٩
المطلب الأول: تعريف المقاصد وعلم المقاصد ٨٠
أولا: تعريف المقاصد ٨٠
ثانيا: تعريف علم المقاصد.....٨٢
المطلب الثاني: مشروع ابن عاشور بين الفردية والجماعية.....٨٤
المطلب الثالث: سلطة الألفاظ والفكر المقاصدي عند ابن عاشور.....٨٦
المطلب الرابع: تحرير المقاصد من الهدي النبوي عند ابن عاشور ٨٧
المطلب الخامس: بماذا تعرف المقاصد عند ابن عاشور ٩٣
المطلب السادس: الفطرة عند الإمام ابن عاشور.....٩٥

الفصل الرابع: نظرية ابن عاشور المقاصدية في ميزان لاحقيه وأبرز التطورات بعده ٩٨
المبحث الأول: نظرية ابن عاشور في ميزان لاحقيه ٩٩
المبحث الثاني: أبرز التطورات بعد ابن عاشور ١١٥
المطلب الأول: تعريف المقاصد.....١١٦
المطلب الثاني: وظيفة المقاصد وأهدافها ١١٩
المطلب الثالث: الاجتهاد والمقاصد ١٢٠
المطلب الرابع: تصنيف الضروريات وترتيبها ١٢٦

الفصل الخامس: أثر المقاصد في أحكام النكاح والطلاق وما يتعلق بهما عند الإمام ابن عاشور ١٣٠

المبحث الأول: أحكام النكاح وما يتعلق به وأثر المقاصد فيها عند الإمام ١٣٦

١- المحرمات من النساء: ١٣٨

٢- التعريض بالخطبة: ١٣٩

٣- الحكمة من جواز تعدد الزوجات ١٤٠

٤- نكاح المشركات: ١٤١

٥- نكاح المتعة: ١٤٢

٦- الحكمة من المهر: ١٤٥

٧- التعامل بالمعروف مع المرأة: ١٤٧

٨- درجة الرجال والمقصد منها: ١٤٨

٩- النشوز: ١٤٩

المبحث الثاني: أحكام الطلاق وما يتعلق به وأثر المقاصد فيها عند الإمام ١٥١

١- الطلاق ومقاصد الشريعة في تشريعه: ١٥١

٢- حرمة المرأة على الرجل بالطلاق البائن: ١٥٢

٣- طلاق الثلاث بلفظ واحد: ١٥٣

٤- إمتاع المطلقة: ١٥٤

٥- أخذ البدل في الطلاق وأثر الخلع: ١٥٥

٦- العدة والحداد والقصد من تشريعهما ١٥٦

٧- الرجعة: ١٥٨

٨- الظهار: ١٥٨

الفصل السادس: أثر المقاصد في أحكام النسب وآثار النكاح والطلاق والأمور المالية عند الإمام ابن عاشور ١٦٠

المبحث الأول: مقاصد الشريعة في أحكام النسب عند ابن عاشور ١٦١

المبحث الثاني: أثر المقاصد في أحكام آثار النكاح والطلاق والأمور المالية
عند ابن عاشور ١٦٧
١- السكنى:.....١٦٨
٢- الرضاع ١٦٩
٣- الوصايا وما يتعلق بها: ١٧١
٤- المواريث:.....١٧٣
٥- الحجر على السفيه:.....١٧٥
٦- الإيلاء: ١٧٦

الخاتمة.....**١٨١**
التوصيات.....١٨٣

المصادر والمراجع **١٨٦**

الفصل الأول
المدخل إلى الدراسة

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الصادق الأمين، المبعوث رحمة للعالمين، بشريعة سمحة صالحة لجميع الأزمنة للناس أجمعين، قاصدة مصالحهم في شؤون الدنيا ونجاتهم يوم الدين.

أما بعد:

فبعد الانتهاء من المواد المقررة دراستها في مرحلة الدكتوراه ومن بينها مقاصد الشريعة الإسلامية؛ اختار الباحث موضوعا متعلقا بمقاصد الشريعة للدراسة تكميلا لمتطلبات نيل الدكتوراه في الفقه والأصول، سائلا المولى التوفيق والسداد فيها.

من المعلوم أن العلوم الشرعية حظيت بالاهتمام البالغ ولا سيما علم أصول الفقه من قبل العلماء الفاضلين، وذلك ببيان مباحث ومسائل تتعلق بالاستدلال وطرق الاستنباط، ومن العلماء من ذكر وتطرق إلى مقاصد الشريعة، وفي مقدمتهم الإمام الشاطبي رحمه الله. وكان ذلك مما أثار نظر وكتابة بعض المعاصرين تأثّرا بكتابات سابقيهم، أو استجابة لمقتضيات عصرهم من التبدُّل في الأحوال والظروف النازلة بالمسلمين، ومنهم الإمام الشيخ "محمد الطاهر ابن عاشور"، صاحب تفسير "**التحرير والتنوير**" وكتاب "**مقاصد الشريعة الإسلامية**". وما جاء به في كتابه عن المقاصد خير دليل على عمق فهمه لواقع التبدل في الأحوال، فاتحا الباب وداعيا لإنشاء علم المقاصد، مضمِّنا الكتاب آراء وتحقيقات جليلة، وردودا هادئة متزنة لما لم يوافق عليه من آراء السابقين. وتوالت بعد الإمام الكتابات والأبحاث في المقاصد، لا تكاد تخرج عن الاتجاه النظري، والنداء لتفعيل المقاصد أو التوجه نحو تفعيل المقاصد، متضمنة نقاشات وتحليلات، وإضافات وانتقادات وإعادة تقسيم.

من هنا يرى الباحث ضرورة فتح باب جديد لدراسة المقاصد بطريقة مختلفة عن الأبحاث والكتابات المعهودة، دراسة تبيّن تأثير المقاصد بشكل فعلي وتطبيقي في الترجيحات والفتاوى عند العلماء وخاصة الذين نظّروا للمقاصد، فاختار الباحث دراسة أثر المقاصد عند الإمام ابن عاشور في الأحكام والفتاوى والترجيحات التي قام بها، لما يتّسم به هذا الإمام من العلم والرصانة والأصالة من جهة، ومعاصرته النسبية من جهة أخرى، وخاصة أنه صاحب دعوة لإنشاء علم مستقل عن أصول الفقه وهو علم المقاصد، وكتب في ذلك كتابه "**مقاصد الشريعة الإسلامية**"، وصاحب التفسير الكبير "**التحرير والتنوير**"، وشغل منصب الإفتاء لمدة طويلة، وشرح بعض المواطن المشكلة من موطّأ الإمام مالك في كتابه "**كشف المغطى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطّأ** "، وتعليقات على صحيح البخاري في كتابه "**النظر الفسيح عند مضائق الأنظار في الجامع الصحيح**"، وغير ذلك كثير. مما يكوّن مجالا لدراسة تبين مدى حضور ما دعا إليه من الأفكار والرؤى من مقاصد الشريعة في أعماله الأخرى.

اختار الباحث ليدرس من خلال هذا التراث مدى أثر مقاصد الشريعة في آراء وترجيحات هذا الإمام، والتوصل إلى جواب سؤال طالما فكر فيه؛ وهو: هل مقاصد الشريعة مجرد نظرية؟ أم أنها فعلا فرع رئيس من علم الأصول -إن لم يكن علما مستقلاً كما عمل لذلك ابن عاشور- قابل للتطبيق، ويفرض نفسه على المجتهد أو المفتي في استنباط الأحكام والترجيح في الخلافيات، بل حتى تحرّره من القيود المذهبية.

وليس بخافٍ أن أمور النكاح والطلاق وما جدّ فيها من النوازل في عصرنا قد فرضت نفسها في كثير من الدراسات والكتابات الحديثة، فبذلك يكون موضوع الأحوال الشخصية (والتي أسماها الإمام أحكام العائلة) أجدر بالدراسة، ضمن ما يرومُ الباحث دراستَه من بيان أثر المقاصد الشرعية في الأحكام الشرعية عند الإمام. وكذلك ما استجدّ من دراسات حول المواريث والفرائض، إلى درجة اتهمت الصحابة بالخطأ في فهم آيات الذكر الحكيم، الذي نزل بلسانهم في كثير من المسائل والموضوعات.

مشكلة البحث

تتمثل مشكلة البحث في وجود نوع من الالتباس والضبابية (إن جاز التعبير) حول مقاصد الشريعة، من حيث الفاعلية وكيفية تطبيقها في الحكم على النوازل وتحكيمها عند المراجحة بين الآراء، رغم كثرة الكتابات والدراسات والأطروحات العلمية حول المقاصد. ويرى الباحث وجود قصور في دراسة المقاصد عند الإمام ابن عاشور خارج إطار كتابه "**مقاصد الشريعة الإسلامية**"، رغم وجود الكثير من أعماله من التفسير وغيره، التي نستطيع أن نتلمس من خلالها تطبيقات مقاصد الشريعة عنده، كي نتجاوز بذلك الدراسة النظرية، التي تكاد تتسبب في ضياع الفكرة الأصلية ومعالمها بين الكتابات المتتالية المتشابهة من حيث المنهج والصياغة والسرد.

وبدراسة المقاصد عند الإمام من خلال آثاره؛ دراسةً تبين كيفية تطبيقه لمنهجه الذي صاغه في كتابه "**مقاصد الشريعة الإسلامية**" ربما نتوصل إلى ما يعين على إزالة الضبابية والإشكاليات المتعلقة بالمقاصد. وأيضا فإذا كان الإمام قد تمكن فعلا من تطبيق منهجه فهذا يعني إمكانية تطبيق ما صاغه في كتابه المقاصد، وينخرم ادعاء وجود ضبابية والتباس حول المقاصد، وإلا فالأمر سيحتاج إلى إعادة نظر، ومراجعة دقيقة، ومما يعنيه أيضا –أي في حالة عدم تطبيقه– أنّ الانشغال بدراسة المقاصد بشكل نظري طوال هذه الفترة الماضية، بالأخص الدراسات المتعلقة بالمقاصد عند ابن عاشور لم يكن له الدور المرجو منه.

وهذه المشكلة هي النقطة التي تساءل الدكتور محمد الطاهر الميساوي عنها؛ حين قال: "إلى أيّ مدى وُفق ابن عاشور في تطبيق المنهج الذي رسمه في كتاب المقاصد على صعيد التفسير؟"[1]. وهذا السؤال من قِبل الأستاذ كان دافعا قويا ليترجح اختيار هذه الإشكالية والوقوف عندها بالدراسة والتحليل.

---

[1] محمد الطاهر ابن عاشور، **مقاصد الشريعة الإسلامية**، تحقيق ودراسة: محمد الطاهر الميساوي (عمّان: دار النفائس، ط٢، ١٤٢١هـ– ٢٠٠١م)، ص١٥٤.

أسئلة البحث

يركّز الباحث في بحثه هذا على الأسئلة التالية:

١. ماذا أراد الإمام ابن عاشور من المقاصد؟ وهل يتوافق ما صاغه مع مَن جاء بعده أم لا؟

٢. هل مقاصد الشريعة مجرد نظرية أم علمٌ، كالعلوم الأخرى، قابل للتطبيق وذو تأثير؟

٣. هل أثّرت مقاصد الشريعة في آراء الإمام ابن عاشور وترجيحاته؟ وما الجديد الذي جاء به ابن عاشور فيما يخص الأحوال الشخصية من اجتهادات وترجيحات في ضوء مقاصد الشريعة؟

أهداف البحث

يهدف الباحث من خلال بحثه بتوفيق من الله تعالى إلى:

١. بيان المراد من المقاصد عند الإمام ابن عاشور، ومدى توافقه مع ما يدعو له المعاصرون من الاجتهاد المقاصدي وغيره؟

٢. كشف الالتباس حول فاعلية وقابلية تطبيق مقاصد الشريعة.

٣. بيان مدى أثر مقاصد الشريعة في آراء وترجيحات الإمام ابن عاشور، من خلال آراء وفتاوى وتفسيرات الإمام حول الأحوال الشخصية، وما أتى بها من اجتهادات وآراء جديدة في ضوء المقاصد.

أهمية البحث

تظهر أهمية البحث في:

١. المساهمة في البدء بمنهجية جديدة، وهي: دراسة المقاصد من خلال الأحكام والآراء التي أبداها العلماء، وخاصة الذين نادوا ودعوا لانتهاج وتحكيم المقاصد الشرعية في استنباط الأحكام من الأدلة أو الترجيح بين الآراء.

٢. المساهمة في كشف مدى فاعلية مقاصد الشريعة في الأحكام الشرعية والآراء والفتاوي، خاصة عند الإمام ابن عاشور الذي دعا إلى الرجوع إلى مقاصد الشريعة عند التنازع والاختلاف.

حدود البحث

يكون البحث إن شاء الله تعالى ضمن حدود الأحوال الشخصية الشاملة للنكاح والطلاق ومايتبعهما، إضافة إلى الوصايا والمواريث وما تبعهما من مسائل، من تراث الإمام ابن عاشور رحمه الله تعالى. وذلك فقط من خلال دراسة المسائل التي ناقشها، أو رجّح رأيا فيها، أو أتى برأي جديد، متأثرا بمقاصد الشريعة، المنهجِ الذي رسمه في كتابه مقاصد الشريعة، وذلك بعد عرض موجز للمقاصد قبل الإمام وبعده.

ولا تدخل في حدود البحث الأحكام التفصيلية، وسرد الخلافات المذهبية، أو خلافات العلماء في داخل المذهب الواحد، لأن ذلك لا يثمر في الإتيان بشيء جديد، وبعيدٌ عن المقصد من الدراسة. إلا لمناسبة يراها الباحث من حيث تعلقها بصلب الدراسة.

منهج البحث

يعتزم الباحث البحثَ في الموضوع في اتجاه مختلف عن أغلب الدراسات؛ اتجاها يشبه طريقة أصوليي الحنفية من تخريج الأصول من الفروع أو على الفروع، لا لافتقارٍ للمقاصد وما كُتب فيها، كما كان عليه حال السادة الحنفية، تأصيلا لأصول مذهبهم من أتباع الإمام المبجّل أبي حنيفة النعمان رحمه الله تعالى، بل محاولةً منه لبيان فاعلية المقاصد والجدوى من دراستها، وذلك من خلال تراث الإمام ابن عاشور، وبالتالي مدى أثرها وتطبيقها في استخراج الأحكام الشرعية أو في المراجحة بين الآراء المختلفة.

ويفرض طبيعة البحث على الباحث أن ينتهج في بحثه الآتي:

١ - المنهج التحليلي: وذلك لتحليل الأفكار والنظريات حول المقاصد، بدءا بما قبل الشاطبي إلى ما بعد ابن عاشور، ليبتعد عن المناهج الوصفية المتسمة بها أغلب الدراسات التي تناولت المقاصد خصوصا عند الشاطبي وابن عاشور.

٢ - **المنهج الاستقرائي**: وذلك لتتبع آراء الإمام المقاصدية في آثاره المتفرقة حول المقاصد والأحوال الشخصية، من الترجيحات والتحليلات والتفسيرات، ليتوصل بذلك إلى الغرض الأساس من البحث، وهو: إثبات فاعلية المقاصد وتطبيقه من قبل الإمام، وكيفية تطبيقه لنظريته في حال وُجد أنه طبّق.

الدراسات السابقة

يتميز موضوع المقاصد بالدراسات المتواصلة والكثيفة من الأطروحات العلمية الأكاديمية، أو الكتابات المنشورة عبر العالم. وفيما يتعلق بموضوع البحث من دراسات سابقة يرى الباحث ضرورة تصنيف الدراسات السابقة إلى أصناف ومجالات مختلفة، كي لا تختلط الدراسات والكتب في مجالاتها المختلفة ببعض، ولا تلتبس المسائل ببعض، إذ القصد من عرض الدراسات السابقة هو بيان وإظهار الأفكار السابقة وتطوراتها عبر الكتابات المتلاحقة في الموضوع الواحد، وبما أن موضوع البحث يتعلق: بابن عاشور، والمقاصد عنده، وعند غيره عموما، والأحوال الشخصية كأنموذج: يرى الباحث تقسيم وتصنيف الدراسات السابقة إلى مجالات أربعة، يعرضها الباحث حسب التسلسل الزمني لكتابات الباحثين والكُتاب، بصرف النظر عن سنة طبعة الكتاب أو إعادة طبعه، إذ يدقق الباحث في التأريخ الذي كتب فيه المؤلف أو الباحث من خلال مقدمة كتابه، فيعرضه حسب ذلك، وإلا فسيعتمد على تأريخ طبعه، حسب ظهوره في الكتاب. فيرجو الباحث أن يُوفّق في عرض ما وجده من دراسات بهذه الطريقة، إذ ليس من المناسب برأي الباحث عرضُ دراسة عن ابن عاشور مثلا ثم عرض دراسة بعده مباشرة عن المقاصد، ثم دراسة عن الأحوال الشخصية، ثم يرجع إلى دراسة عن المقاصد أو ابن عاشور مرة أخرى بدعوى مراعاة التسلسل الزمني للكتابات، إذ تضر تلك الطريقة بإبراز وعرض التطورات والمستجدات في الموضوع الواحد.

وبناءً على ما مر من رؤية الباحث حول طريقة عرض الدراسات السابقة المتعلقة بالموضوع وجزئياته؛ فقد صنف الدراسات السابقة على النحو الآتي:

أولاً: ما يتعلق بالإمام ابن عاشور: سيرة ومواقف وعلما

مما يتعلق بالإمام ابن عاشور رحمه الله تعالى من كتابات وجد الباحث كتاب: **شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر ابن عاشور حياته وآثاره**[٢]، من تأليف الدكتور بلقاسم الغالي، ويعد هذا الكتاب دراسة مهمة برأي الباحث حول الإمام وتراثه، وخاصة أنه من الأوائل الذين اهتموا بالإمام وآثاره في كتاب واحدٍ، إذ جمع في دراسته بين الإمام شخصيةً وآثارا وعلما وإصلاحا. تطرق إلى ما يتعلق بالإمام من خلال أربعة أبواب أتى عليها الكتاب. فقد خصص الباب الأول لعصر الإمام وحياته. وفي الباب الثاني تناول شخص ابن عاشور مفسرا ومحدثا، قسمها إلى فصلين تطرق فيهما للتفسير عند الإمام وما أتى به الإمام من جديد في التفسير، وفي الفصل الثاني تناول موضوع التحديث عند الإمام واهتمام أهل تونس بالحديث وإجازات الإمام وآثاره المتعلقة بالحديث الشريف. وخصص الباب الثالث لابن عاشور مجتهداً، إذ بدأ الفصل الأول منه بمقاصد الشريعة عند الشيخ، وبراعته في علم المقاصد، وأسباب تأخر علم أصول الفقه، وغير ذلك من احتياج المجتهد إلى معرفة المقاصد وطرق إثباتها وطول التأمل لإصابة المقصد، وأنهى الفصل الأول بتقييم كتاب المقاصد للشيخ الإمام، وتناول في الفصل الثاني الإمام ابن عاشور مفتيا، إذ تناول بعض المسائل التي أثارت بعض الأقاويل والمشاكل مثل فتوى التجنس وقراءة القرآن عند تشييع الجنازة وحول الميت وقبره، ومميزات فتاويه، وهي في الحقيقة مميزات الإمام كشخص مفتي كما تتضح من قراءة الموضوع. وخصص الباب الرابع من الكتاب لابن عاشور مصلحا، ففي الفصل الأول تناول الأسس التي انطلق منها الأستاذ الإمام في إصلاح المجتمعات والأفراد، ومقومات النظام الاجتماعي في الإسلام، وفي الفصل الثاني تناول ابن عاشور مصلحا تربويا والفكر التربوي عنده، وفي الفصل الثالث تناول ابن عاشور لغويا وناقداً ومحققا وآرائه اللغوية... .

وفي المحصلة فالكتاب جاء فاتحا أبوابا لموضوعات شتى تتعلق بالإمام وآثاره لمن يريد الاستفاضة في البحث والدراسة، ولعل هذا الكتاب لم يتطرق مباشرة لموضوع بحثنا إلا أنه

---

[٢] بلقاسم الغالي، **شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر ابن عاشور حياته وآثاره** (بيروت: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م).

لا يمكن تلافي الاشتراك في بعض النقاط في الدراسة كشخص الإمام وبعض ما يتعلق به وخاصة من حيث الإفتاء في مسائل الأحوال الشخصية، وسيكون معِينا للرجوع إلى مصادر متعددة ومفيدة.

وقد قام بخدمة جليلة للإمام وتراثه الدكتور محمد الحبيب بن خوجة في سلسة من ثلاثة مجلدات، إذ جاء المجلد الأول للإمام باسم: **شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمد الطاهر ابن عاشور**[٣]، تمهيدا لدراسة مقاصد الشريعة عند الإمام في المجلد الثاني، وإضافة وتكملة لخدمة شيخه قام بتحقيق كتاب مقاصد الشريعة الإسلامية في المجلد الثالث، ليأتي الكتاب في مجلداته الثلاث قرابة الألفي صفحة.

وفي هذا الجزء من الكتاب يشترك بحثنا معه في موضوعات متعلقة بحياة الشيخ الإمام وآثاره، مما يعيننا في معالجة ودراسة النقاط المثيرة في حياته وبعض فتاويه، وخاصة أن من الكُتاب قديما وفي حياة الشيخ قد كتبوا وردوا على بعض آرائه، وحديثا مثل الدراسة التي سنعرضها بعد هذه الدراسة، والتي تحتاج التوقف عندها أيما توقف!

وهذ الجزء من الدراسة لا يشترك في عمومه مع دراستنا التي تسعى إلى بيان المقاصد الشرعية وتطبيقاتها عند الإمام، لكن يبقى من أوسع ما ألف عن ابن عاشور: حياته، وفكره، وبرنامجه الإصلاحي. ويبقى الجزء الثاني والثالث متصلا بالبحث، ولكن على أساس مختلف كما ستأتي الإشارة إليهما.

وعن الشيخ الإمام أيضاً كتب جمال محمود بحثا بعنوان: "**الإمام محمد الطاهر بن عاشور (سيرة ومواقف)**"[٤]، بحَث في سيرة الإمام وأحوال المجتمع الذي عاش فيه، وتراثه العلمي والمعرفي، بدأ بالحديث عن الاستعمار وتأثيره في الشيخ وفكره، وتأثر الفكر التونسي حسب تعبيره بالحركات الأخرى، مثل العروة الوثقى، وتكرر زيارة الشيخ محمد عبده للإمام مما كان دافعا العلماء إلى محاولة الإصلاح... ثم تطرق لحياة الشيخ ومولده

---

[٣] محمد الحبيب ابن خوجة، **شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمد الطاهر ابن عاشور وكتابه مقاصد الشريعة الإسلامية** (قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، د.ط، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤).

[٤] جمال محمود أبو حسان، **الإمام محمد الطاهر بن عاشور (سيرة ومواقف)** (الأردن: المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، المجلد الخامس، العدد (٣/أ)، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م)، ص ٥٧- ٨٦.

وشيوخه وأساتذته وتعلمه، ثم بحث في جهده الإصلاحي، وركّز على الانحرافات التي كانت موجودة في زمنه، والتي كان الشيخ ساكتا عنها وأيّد حديثه بأقوال ابن باديس عن ذلك – والتي يروم الباحث تناولها في بحثه هذا بشيء من التفصيل والتحليل – وغيره من الكُتّاب الذين تناولوا موضوع محاربة البدع والانحرافات في زمن الإمام حسب ما نقله الباحث في بحثه. وعموما تشترك هذه الدراسة مع جزء من دراستنا من حيث دراسة حياة الإمام، لا من حيث الموضوع الرئيس الذي يتعلق بأثر المقاصد الشرعية في آراء الإمام.

ثانياً: ما يتعلق بالمقاصد عند الإمام ابن عاشور خاصة، وعند غيره، والمقاصد عامة

فيما يتعلق بالمقاصد عن الإمام ابن عاشور كتب إسماعيل الحسني "**نظرية مقاصد الشريعة عند الإمام محمد الطاهر بن عاشور**"[٥]، والكتاب في الأصل رسالة تقدم بها لنيل دبلوم الدراسات العليا. تتناول الدراسة هذه نظرية المقاصد من الناحية النظرية اعتمادا على ما صاغه وأتى به الإمام ابن عاشور في كتابه مقاصد الشريعة الإسلامية. والقاريء للكتاب يرى بوضوح محاولة الحسني اختصار بعض ما أتى به الإمام في بعض فصوله، وتحليل بعض النقاط في مواضع أخرى، وذلك نظريا فقط دون دراسة تطبيقية أو تفعيلية. وأطروحة الحسني بصياغته وهيكله يختلف تماما عن الذي يروم الباحث دراسته وتحليله، خاصة من ناحية المدخل والأساس؛ فالأساس عند الحسني هو الناحية النظرية فقط دون التحليل العميق أو التوقف الطويل عند المقاصد التي ذكرها، وقد حاول ذكر المقاصد حسب الموضوعات

وقد ذكر المقاصد الشرعية التي يمكن ملاحظتها بيسر في كتاب المقاصد للإمام وفي تفسيره، حيث ذكر في الباب الثاني من كتابه: مقاصد العبادات، والأطعمة، والذبائح، والعائلة الشاملةِ للنكاح والطلاق والوصايا، والمعاملات المالية والبدنية، كل تلك الأبواب والموضوعات ذكرها في خمسين صفحة تقريبا. وهذا يوضح بجلاء مدى اختلاف دراسته تلك عن دراستنا للأحوال الشخصية عند الإمام، وتأثير المقاصد في ترجيح رأي على آخر،

---

[٥] إسماعيل الحسني، **نظرية المقاصد عند الإمام محمد الطاهر بن عاشور** (الولايات المتحدة الأمريكية – فرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط١، ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م).

أو الإتيان بشيء جديد دون التقيد أو الالتزام بالمذهب المالكي، مما يفتح بابا جديدا أو يكون محاولة لفتح باب جديد ومدخلٍ جديد لدراسة المقاصد، وإخراجه من الحلقة المسدودة التي تتسم وتتمّ بها الدراسات المقاصدية منذ فترة ليست بوجيزة؛ دراسة نظرية محصورة على مقدمات وأوصاف نظرية، مما حدى بالبعض الدعوة لتفعيل مقاصد الشريعة في كتابات نأتي على ذكرها في عرض الدراسات الآتية.

وقد قام بتحقيق ودراسة كتاب "**مقاصد الشريعة الإسلامية**"[٦] للإمام ابن عاشور الدكتور محمد الطاهر الميساوي، الدراسة التي تكاد تكون كتابا بحد ذاتها، تناول في دراسته ما يتعلق بالشيخ الإمام وحياته، وطلبه للعلم والمعارف التي درسَها الإمام وبعض الكتب التي درسها. وأشار إلى مكانته العلمية مستدلا بتراثه الضخم الذي تركه رحمه الله من التفسير وغيره، ورسوخه في علم الفقه والأصول واللغة، ومدى عنايته بالمنطق والفلسفة ومدى حضوره في أعماله. ومن الجدير بالذكر أنه أثار قضية عدم أخذ ابن عاشور المكانة التي يستحقها من قبل المعاصرين. ومن النقاط المهمة التي أثارها الدكتور في مقدمته تلك مما يتعلق بشخص الإمام وحياته: ملابساتُ تهمةٍ طالت الإمام في حياته وبعد مماته أيضا، وهي ما يتعلق بفتوى التجنيس، وبرأي الباحث ما ساقه الأستاذ الدكتور من أدلة تُبعد التهمة عن الإمام بشكل كافٍ وشافٍ لمن نظر إلى القضية بعين الإنصاف، وخاصة أنه رجع إلى مصادر لم يتسن للكثيرين الاطلاع على مضمون مثل تلك الوثائق لولا إبرازه لها وإيضاح ما جاء فيها من قِبله، فجزاه الله تعالى خير الجزاء. وتناول الدكتور كذلك الهمّ الإصلاحي عند الإمام من إصلاح التعليم، كذلك أبدى إيضاحات ومقدمات هامة حول المقاصد، من حيث الدواعي والمقاصد لنظرية المقاصد، ودراسة أستاذنا هذه وبطبعتها تلك ستكون النسخة المعتمدة من كتاب المقاصد في البحث إن شاء الله تعالى.

وفي المجلد الثاني من سلسلة "**محمد الطاهر ابن عاشور وكتابه مقاصد الشريعة الإسلامية**" تناول ابن الخوجة مقاصد الشريعة عند الإمام بشكل خاص وعام أيضا، تحت

---

[٦] محمد الطاهر بن عاشور، **مقاصد الشريعة الإسلامية**، تحقيق ودراسة: محمد الطاهر الميساوي (عمّان: دار النفائس، ط٢، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م).

عنوان: "**بين علمي أصول الفقه والمقاصد**"[٧]، درس فيه المقاصد وأصول الفقه بما يجمع بينهما، ومن الملاحظ من العنوان أنه أدخل موضوع المقاصد كعلم مستقل عن أصول الفقه. وقد بحث الأستاذ المقاصد عند الإمام بشكل نظري، جعلها كالمقدمة لدراسة المقاصد عند الإمام في مجلده الثالث، مُنهيا عمله بإيراد قائمة من القواعد والمقاصد التي استخرجها من تأليف الإمام في المقاصد. والحقيقة أنه ليس للكتاب ما يعين الباحثين والقراء لا منهجا ولا جديدا من القول في المقاصد، بل إن القاريء ليتيه في كتابه هذا الذي يجد نفسه بين أمواج وتقلبات في الموضوعات. فضلا عن الخلط بين الموضوعات الأصولية والفقهية والكلامية، بما يضيّع الفكرة والمقصود من الكتاب. وفي المحصلة فالكتاب لم يأت بشيء جديد جدي في موضوع المقاصد، ولم يزد عن الحسني في الصياغة. والاختلاف عن منهجنا في البحث واضحٌ، من حيث الدراسة النظرية التي اتسم بها كتاب ابن الخوجة رحمه الله تعالى.

وتحت عنوان "**التنظير المقاصدي عند الإمام محمد الطاهر بن عاشور في كتابه مقاصد الشريعة الإسلامية**"[٨] بحث محمد حسين في أطروحته لنيل الدكتوراه المقاصدَ عند الإمام مسلطاً الضوءَ على أمرين كما بين ذلك في مقدمته: أولاً: "موضوع المقاصد الشرعية وذلك لبيان وإبراز ما يمكن أن تسهم به دراسة المقاصد من قبل أهل الاختصاص من تجاوز لكثير من الإشكالات التي تحاصر الفرد المسلم". والأمر الثاني: التعريف بشخصية الإمام وفكره، مقسما بحثه إلى أبواب خمسة خصص الباب الثالث للتنظير المقاصدي عند الإمام.

---

[٧] محمد الحبيب ابن الخوجة، **بين علمي أصول الفقه والمقاصد**، ضمن سلسلة: شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمد الطاهر ابن عاشور وكتابه مقاصد الشريعة الإسلامية (قطر: وزارة الأوقاف والشؤن الإسلامية، د.ط، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م)، ج٢.

[٨] محمد حسين، **التنظير المقاصدي عند الإمام محمد الطاهر بن عاشور في كتابه مقاصد الشريعة الإسلامية**، أطروحة دكتوراه (الجزائر: وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة الجزائر، كلية العلوم الإسلامية، قسم أصول الفقه، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م).